عمران دمشق

« مدارسها »

من طالع فهارس الكتب العربية ودخل دور الكتب الشهيرة يعلم ما كانت عليه الامة العربية من التوفر على التأليف في كل فن وعلم ايام اقتعادها غارب العز الاقعس وافتراعها اعراف المجد الاثيل . ومن طاف في بلاد دمشق وضاحيتها وشاهد ما هناك من آثار طامسة ومدارس دارسة يدرك ولا شك ما كان في هذه الحاضرة من صنوف العمران وضروب الحضارة والفضارة ايام كانت سوق العلم نافقة وكلة العدل نافذة

ولقد ذهب بعض متأخري المؤرخين الى ان المدارس بدمشق كثرت على عهد الدولة الاموية وهو وهم لا دليل عليه من التاريخ البتة فقد ظهر بعد البحث ان المدارس في الاسلام على هذا الطرز المعروف لعهدنا لم تكن الاّ في اواخر القرن الخامس للهجرة . قال السيوطي في محاضراته ان اول من بنى المدارس لطلبة العلم ورتّب فيها لهم المعاليم من المواجب والارزاق نظام الملك يعني هو اول من بنى في العراق . ونظام الملك هو ذاك الوزير الكبير الذي تفخر به الدولة السلجوقية التركية وهو مؤسس المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٩ المعدودة من اعظم كليات المسلمين

ويؤخذ من مطالعة كتب السير ان تاريخ المدارس في هذه الحاضرة يُرَدُّ الى عهد الملك العادل نور الدين الشهيد وحاشيته وذريته فانهُ كان اول من تقرّب بهذه المآثر وعُني باشادتها على ما سيجيء . وربما خطر لبعض الناس ان هذه المدارس البادية انقاضها للعيان اليوم في سفح قاسيون والشرفين عمرت وسط البساتين والحدائق كما هي الآن والصحيح انها لم تكن الاّ وسط عمران مسبطرّ من دور وقصور ومصايف وقرى

قال البدري ومن محاسن الشام الصالحية وهي مشحونة بالزوايا والتربة والمدارس والقرب تمشي بها بين ترب ومدارس ببناء جميل استولت عليها يد المباشرين والنظار فازالوا منها العين فلم يبقَ سوى الآثار فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح وامست في ظلمة بعد تلك المصابيح وهي تقول اصبحت حاصلاً بعد ما كان ايواني بالقراءة عامرًا آهلاً وهذه تقول اصبحت مربطًا للبهائم بعدما كنت معبدًا للصائم والقائم وهذه تقول اتخذوني مسكنًا وهذه تقول جعلوني متبنًا وهذه تقول هدوني واخذوا سقفي وكشفوني وهذه تقول خربوا جداري وباعوا الباب وجعلوني مأوى للكلاب

هذا ما رثيت به المدارس في القرن التاسع فمَ ترقَ اليوم وقد اسسي معظمها مجمعاً لتوبقات والخبائث ومستودعاً للقاذورات والقاذورات . وما برحت انقاضها تسرق سرًّا وجهرًا واوقافها تضيع بين رجع السماء وصدع الارض وما بقي منها يدعى باسم مدرسة او عمَّره بعض ارباب المظاهر من المتأخرين يؤثر العاقل ان يكون خراباً يباباً من ان يشاهده على هذه الصفة حقيرًا بناؤهُ وخيمةً عرفهُ وافيتهُ تخيلة اصول التعليم فيهِ وان شئت التصريح فقل ان دروس العلم اعتيض عنها منذ أبطل امتحان طلاَّب العلوم كل عام بالهزل والهذيان وتعطيل الوقت في ما لا يجدي الانسان ولا يرضي الديَّان

وقد كان بدمشق سبع دور للقرآن وثماني عشرة دارًا للحديث وسبع وخمسون مدرسة للشافعيَّة واحدى وخمسون مدرسة للحنفيَّة واربع للمالكيَّة وعشر للحنابلة وثلاث مدارس طبيَّة وهي الدخوارية انشئت سنة ٦٢١ والنبودية انشئت سنة ٦٦٤ والصلاحيَّة انشئت سنة ٦٧٠ وكان بها صيدليَّة منظمة والربيعيَّة غربي البيمارستان النوري . ولا اثر في عهدنا لتلك المدارس الطبيَّة

هذه هي المدارس التي كانت بدمشق فتخرَّج فيها قديمًا العلماء والفقهاء والخطباء والشعراء والاطباء والقضاة والولاة . ويؤخذ من تقويم الحكومة المحلية ان المدارس الباقية هنا الآن ثلاثون مدرسة الاَّ ان تقويم المعارف يعدد اكثر من ذلك ويرى ان المدارس العامرة بطلابها ومشايخها هي خمس عشرة مدرسة وهو الصحيح يسكنها والاحناف الشوافعة والمالكية والحنابلة على السواء

ومن المدارس التي انشئت في القرن المنقضي مدرسة المرادية لصاحبها الشيخ مراد المرادي وكانت قبل ذلك خاناً يسكنهُ اهل الفسق والفجور وكذلك بنى مدرسة في دار تجلة سوق ساروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية مع مسجد . ومن المدارس الحديثة مدرسة سليمان باشا العظم اسست في باب البريد سنة ١١٥٠ وهي الآن مكتب للاناث ومدرسة عبد الله باشا العظم في سوق السلاح اسست سنة ١١٩٣ ومدرسة اسماعيل باشا العظم في سوق الخيَّاطين اسست سنة ١١٤١

ولما ارادت الدولة العثمانية بث المعارف بين الرعايا وتربية الناشئة بحيث يصلحون لخدمة افكارها شرعت على عهد السلطان عبد المجيد خان بتأسيس بضعة مكاتب وكتاتيب في العاصمة وبعض الولايات القريبة منها تدرس فيها مبادئ اللغات التركية والفارسية والعربية والافرنسية وبعض العلوم العصرية وزادت النهضة على عهد السلطان عبد العزيز خان لكنها لم تبلغ

دمشق الاَّ منذ اثنين وعشرين عامًا في ولاية الوزير مدحت باشا الثانية فأُسس مع ما اسس من المشروعات النافعة مدارس ابتدائية للاطفال كما شاد دارًا حسنة للصنائع يأوي اليها اليتامى . ومن الغريب ان المدارس التي عُني بانشائها عندنا لم يكثر عددها و يتزايد انتظامها من بعدو بل امست قليلة العدد والجدوى. هذا في مدينة دمشق حيث الحاجة اشد ما تكون ماسة الى المدارس العالية فضلاً عن الابتدائية اذ يحل هنا الروس والروم والفرنسيس والانكليز واليهود وغيرهم فيؤسسون ما شاءوا من مدارس وكتاتيب يقبلون فيها ابناء الطوائف كافة فما بالك في الضاحية التي تكاد لا تخلو اهم قراها من مدارس يتولى امرها المرسلون على اختلاف لغاتهم واديانهم و يربون اولاد القرى على المبادىء التي يريدونها

وباليت المعارف تبذل ربع ما تستوفيهِ في سورية من الاعشار باسم السبع والربع ومن الجايات ستة بالمئة لتصرفهُ على تعليم الناس . مثال ذلك جبل تجلون وفيهِ مائة وخمس قرى فان اهلهُ يؤدون للمعارف زهاء اربعة آلاف ليرة عثمانية سنويًّا ثم لا نجد في كل بلادهم على كبر رقعتها وكثرة سكانها سوى اربعة مكاتب ابتدائية حقيرة لا تصرف عليها المعارف مائة وخمسين ليرة في السنة

واكبر مدارس الحكومة اليوم في هذه الحاضرة مكتبان اعداديان الاول عسكري اسس سنة ١٢٦٦ هـ والثاني ملكي اسس في ١٩ آب ١٣٠٤ حسابًا شرقيًّا يكون الاول غربي المدينة في جامع تنكز والثاني في شرقيها في اجمل دور القيحاء كان لغنيّ اسرائيلي فاحترق فابتاعتهُ جمعية المعارف وجعلتهُ مكتبًا ملكيًّا. و يعد من المكاتب الكبيرة ايضًا المكتب الرشدي العسكري وهو بمثابة المدارس الابتدائية او ارقى منها درجة وتلامذتهُ يتراوحون بين الخمسمائة والستمائة غالبًا وقد أُسس في جامع بليغا سنة ١٢٩٣ هـ . ويؤخذ من احصاء نشرتهُ رئاسة المعارف بدمشق في العام الماضي ان بدمشق سبعة كتاتيب ابتدائية اميرية للذكور فيها ٥٥٤ طالبًا وستة مكاتب للاناث فيها ٣٨٤ طالبة وان عدد الكتاتيب الخاصة ٨٥ كتابًا للذكور وكتاتيب الاناث ٨٠ فيها كلها ١٢٨٦٠ طفلاً وطفلة . اما مدارس الاجانب فلم ارَ احصاء بها والحكومة لا تعترف رسميًّا الاَّ بعدد قليل منها اذ الظاهر انهُ أُسس معظمها بلا استئذان ولكن دعوتها سارية وتعاليمها مبثوثة

ولقد همَّ القوم مرارًا لتأسيس مدرسة وطنية في هذه المدينة لكنهم رجعوا على الاعقاب اذ لا يعرفون الطرق المنجية وكل شعب غير منور لا يجيد القيام على مثل هذ الشؤون ما لم تأخذ حكومتهُ بيدهِ وتدلهُ على سواء السبيل بل كل حكومة ربَّت شعبها على الخضوع المطلق

وتقديس اعمالها بنتهي بهِ الحال ان لا يعمل عملاً ما قلَّ او جلَّ

خانقاهاتها

كان بدمشق ستة وعشرون خانقاها . والخانقاه كلمة فارسية مركبة اصطلاحية وهي دار للفقراء ومأوى للدراويش . جاء في محاضرة السيوطي ان اول من بنى خانقاهاً للصوفية بمصر من الملوك السلطان صلاح الدين بن يوسف ورتب للفقراء الواردين ارزاقاً معلومة . ومن قبيل ذلك الرباط وهو مسكن الدراويش والفقراء وكان بدمشق اثنان وعشرون رباطاً . ومن قبيلهِ ايضاً الزاوية وكان بها ست وعشرون زاوية

مستشفياتها

اقامة دور للبائسين ومأوى للضعفاء واصحاب العاهات والزمانات من امارات الحضارة ودلائل ارتقاء الانسان . قيل ان اول من اتخذ المستشفيات في صدر الاسلام الوليد بن عبد الملك كما كان اول من اتخذ دار الضيافة للواردين فانهُ اقام في دمشق على ما يروى مستشفى للمجذومين بالقرب من الباب الشرقي في محل يسمى الآن بالاعاطلة لما ان في ماء دمشق على ما قالوا سريرة لدفع مرض الجذام عن اهلها فلم يصبهم البتة والغريب المصاب بهِ تكسر عنهُ عاديتهُ اذا نزل بها او يتوقف عنهُ سيرهُ . قال ابن عساكر كان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم كان يُعطي اكياس الدراهم لتفرَّق على الصالحين وفرض للمجذومين وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مُقعد خادماً وكل اعمى قائداً . وروى البلاذري في فتوح البلدان ان عمر بن الخطاب عند مقدمهِ الجابية من ارض دمشق مرَّ بقوم مجذَّمين من النصارى فامر ان يعطوا من الصدقات وان يجري عليهم القوت

كان بدمشق بحسب ما وقفت عليهِ ثلاثة مستشيات الاول انشأهُ نور الدين الشهيد كما انشأ غيرهُ في البلاد وكان بيمارستان دمشق اعظمها واكثرها خرجاً ودخلاً . قال صاحب الروضتين بلغني في اصل بنائهِ نادرة وهي ان نور الدين رحمهُ الله وقع في اسرِ بعض اكابر ملوك الفرنج فقطع على نفسهِ في فدائهِ مالاً عظيماً فشاور نور الدين امراءهُ فكل اشار بعدم اطلاقهِ لما كان فيهِ من الضرر على المسلمين ومال نور الدين الى الفدى بعد ما استخار الله تعالى فاطلقهُ ليلاً فلما بلغ الفرنجي مأمنهُ مات وبلغ نور الدين موت الفرنجي فبنى بذلك المال هذا البيمارستان ومنع المال الامراء لانهُ لم يكن عن ارادتهم . تولى بناءهُ كمال الدين بن الشهرزوري وكان في الدولة النورية الحاكم المتحكم بدمشق وهو الذي تولى بناء اسوارها ومنَّ دار العدل لتنفذ احكامهُ بحضرة السلطان فلا يبقى عليهِ مغمز ولا ملز

ظلّ هذا المستشفى عامرًا الى سنة ١٣١٧ هـ واوقافهُ تكاد تكون دارّة يتولاهُ نخبة من نطس اطباء تلك العصور . وفي ترجمة رشيد الدين بن علي بن خليفة ان الملك العادل ابا بكر بن ايوب لما سمع بسيرتهِ وعلمهِ ولاهُ طب البيمارستانين بدمشق اللذين وقفهما الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وهذا يدل على انهُ كان بدمشق بيمارستانان الاول النوري الكبير المتقدم وصفهُ والثاني بباب البريد . جاء في ترجمة عز الدين بن السويدي انهُ خدم في البيمارستان بباب البريد . وكان ايضًا بيمارستان آخر في الصالحية اسمهُ القيمري انشأهُ الامير ابو الحسن القيمري في القرن السابع ولم يبق الاَّ بعض جدرانهِ واصبح باقيهِ حديقة

وفي دمشق لهذا العهد اربعة مستشفيات او بيمارستانات — والبيمارستان كلمة فارسية مركبة معناها تحل المرضى — الاول المستشفى العسكري وفيهِ يستشفي ضباط العسكر الخامس السلطاني واجنادهُ . وفي ١١ ذي القعدة ١٣١٥ احتفلت جمعية اسكتلندا الانكليزية بافتتاح المستشفى الذي استهُ بارداة سنية في ارض الزينبية على طريق حلب ونوى اللعازريون انشاء مستشفى قبالتهُ مجاراةً لهُ فلم يفتحوهُ حتى الآن لاسباب لا نعلمها على ان للراهبات الافرنسيات مستشفى قرب مدرسة اللعازرية أُنشئ منذ عهد بعيد

ومنذ اعوام شرعت بلدية دمشق بانشاء مستشفى للغرباء في الجانب الغربي امام تكية السلطان سليمان خان وجمعت لهُ اعانات من الاهلين والمأمورين وفُرض شيء من المال على المراسح والمتنزهات من ممثلين وممثلات ومغنين ومغنيات وأُخذ مبلغ من واردات البلدية واوقاف المستشفى النوري حتى اذا كان ١٥ ذي القعدة ١٣١٧ احتفل بافتتاح المستشفى الجديد فصدرت الارادة السنية بتسميتهِ بالاسم الحميدي وجعلت بجانبهِ دار للمعتوهين ودار للايتام وغيرها مما يتصرف تحت اسم مستشفى . وخُصصت اوقاف المستشفى النوري ومبلغ خمسمائة ليرة تؤخذ مساناةً من واردات البلدية لتصرف على المستشفى الحميدي اما البيمارستان النوري فقد جعل مدرسة صنائع للاناث . وهكذا خلف المستشفى الحميدي المستشفى النوري وزادهُ رونقًا ورواء مقبرة الصوفية التي ضمت اليهِ وجعلت حديقة للمستشفى مغروسة باشجار تلطف الهواء وتعدّل المناخ

دور كتبها

مَن يُصدّق الآن ان الكتب العربية كانت في هذه الديار قبل اختراع صناعة الطباعة اكثر عددًا ووفاء بالحاجة منها في هذه الايام وان الاسفار الحديث تأليفها في المغرب كانت تسير الى المشرق بسرعة وتتعاقب عليها النقل وتتناولها ايدي الاساتذة والتلامذة وتزداد بها

المكاتب الخاصة والعامة خصوصاً على عهد تينك الخلافتين الاموية المغربية والعباسية المشرقية وانهُ كان من انتظام المدارس الدينية في تلك الاعصر ان تكفل منها دار كتب لاتقة مُسبَّلة على المراجعة والدرس متوفرة فيها شروط التعلم والاستنساخ

ذُكر في فتاوى التقي السبكي صكُّ وقف دار الحديث الاشرفية المعروفة الى الآن فجاء فيهِ هذا : ويُصرف الى الشيخ المحدِّث في كل شهر تسعون درهماً (هي نسبية وربما ناهزت الثلاثين ليرة بمعاملة اليوم) وهو ابو عمرو ابن الصلاح ولنسلهِ خمسون درهماً الى ان ينقرض آخرهم. قال ويُصرف الى خازن الكتب ثمانية عشر درهماً في كل شهر وعليهِ الاهتمام بترميم الكتب واعلام الناظر او نائبهِ ليصرف فيهِ من مغل الوقف ما يفي بذلك وكذلك اذا مست الحاجة الى تصحيح كتاب ومقابلتهِ . وجاء فيهِ وجعل جزءاً من الوقف يُصرف على مصالح المدرسة النورية ومن ذلك ان يُصرف في شراء ورق وآلات نسخ من مُركَّب (حبر) واقلام ودُوَيّ ونحو ذلك ما يقع بهِ الكفاية لمن ينسخ في الديوان الكبير او قبالتهُ الحديثَ او شيئاً من علومهِ او القرآن العظيم او تفسيرهُ ويصرف الى من يكتب في مجالس الاملاء والى من يتخذ لنفسهِ كتباً او استجازة ولا يعطى من ذلك الاَّ لمن ينسخ لنفسهِ لغرض الاستفادة والتحصيل دون التكسب والانتفاع بثمنهِ. قال وللشيخ الناظر ان يستنسخ للوقف او يشتري ما تدعو الحاجة اليهِ من الكتب والاجزاء ثم يقف ذلك اسوة ما في الدار من كتبها . كُتب سنة ستمائة واثنتين وثلاثين اه

قلتُ انها كانت وافية بالحاجة لتعددها وتنوعها . ومما رواهُ العماد الكاتب انهُ كان لبيع الكتب في قصر صلاح الدين يوسف بن ايوب كل اسبوع يومان وخزائنها في القصر مرتبة البيوت مقسمة الرفوف مفهرسة بالمعروف فقيل للامير بهاء الدين قراقوس متولي القصر هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى سمينها والغث ولا غنى عن تهويتها ونفضها واخراجها من بيوت الخزانة الى ارضها . وهو تركي لاخبرة لهُ بالكتب ولا دربة لهُ باسفار الادب فاخرجت وهي اكثر من مائة الف من اماكنها واختلط ادبيها بنجوميها وشرعيها بمنطقيها وطبيبها بهندسيها وتواريخها بتفاسيرها وتجاهيلها بمشاهيرها وكان فيها من الكتب الكبار وتواريخ الامصار ومصنفات الاخبار ما يشتمل كل كتاب خمسين او ستين جزءاً مجلداً ....

وذكر المقريزي في الخطط اعاجيب بشأن خزائن كتب الفاطميين بمصر . وفي ترجمة نصير الدين الطوسي الرياضي المشهور المتوفى سنة ٦٧٢ انهُ ابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الارجاء وملأها من الكتب التي نهبها هولاكو التتري من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على اربعمائة الف مجلد . وهكذا ظلَّت اسفارنا تسافر

في البلاد حتى اذا عرا الامة ذاك الجمود العجيب تطاولت الايدي الى نهب الكتب فتمزقت شذر مذر وزهد الناس فيها الاَّ ما كان منها في فروع الدينيات اللازمة لبعض الشيوخ وبقي العلم عندنا كما كان باوربا في القرون الوسطى مخلصاً برؤساء الدين لا يكاد يتعدى جدران الصوامع والجوامع ودهاليز الاديرة والبيع حظ سائر الطبقات حظ العجماوات يأكلون ويشربون وينامون ويتناسلون وحظ سائر علوم البشر الدثور والعفاء

ولقد تدرجت الحال باصحاب الاطماع حتى انتقلوا من نهب المكاتب الخاصة الى العامة بمساعدة قوَّامها حتى اذا كان عام ١٢٩٨ ﻫ تنبه بعض اهل البصر من حملة العلم وفي مقدمتهم العلاَّمة الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري فسعوا بواسطة الحكومة المحلية الى جمع ما تفرَّق في الخزائن العامة من الاسفار وبعد ممانعات شديدة ممن يرومون كتم العلم وابقاء الناس في غاية جهلها في شطر من مدرسة الملك الظاهر بيبرس قبالة العادلية الكبرى ونصبوا عليها قوَّاماً ووضعوا لها شرائط المكاتب في البلاد المتمدنة فجاءت مكتبة مؤلفة من ٢٤٥٣ كتاباً متنوعة عدا الدشت او الكراريس والاوراق المتفرقة . والاصل أُخذ من عشر مكاتب مكتبة المدرسة العمرية بالصالحية وهي قديمة العهد وقفها بعض اهل الخير . ومكتبة مدرسة عبد الله باشا العظم وقفها سنة ١٢١١ وضمَّ اليها كتباً وقفها والده محمد باشا سنة ١١٩٠ . ومكتبة سليمان باشا العظم وقفها سنة ١١٩٦ كانت بمدرسة باب البريد . ومكتبة اعلا عثمان الكردي كانت بمدرسة السليمانية ايضاً . ومكتبة مدرسة الخياطين وقفها اسعد باشا العظم بعد سنة ١١٦٥ وكان مقرُّها بمدرسة والده اسماعيل باشا . ومكتبة المرادية بمدرسة الشيخ مراد المرادي النقشبندي . ومكتبة مدرسة الشميصاتية وهي قديمة العهد وقفها بعض اهل الخير . ومكتبة الياغرشية كانت موضوعة في مدرسة سياوس باشا بالشاغور . ومكتبة الاوقاف وهي مؤلفة من عدة مكاتب حُفظت بقاياها . ومكتبة بيت الخطابة كانت بحجرة الخطابة بالجامع الاموي . ومن كتب أُخرى موقوفة

ومن الكتب المخطوطة المهمة في هذه الدار الآن كتاب الكواكب الدراري لابن عروة الحنبلي وهو اكثر من مئة وعشرين مجلداً في فن التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والرد على الفلاسفة واسماء الرجال وعلوم شتى والموجود منهُ ٤٢ جزءا . والغريب في الحديث كثير منها اجوبة الامام احمد عن اسئلة ابي داود السجستاني كتبت سنة مايتين وست وستين . والبحر المحيط في اصول الفقه للبدر لزركشي في خمس مجلدات . والجزء الاول من التذكرة للعلامة اميرك من علماء المعتزلة في علم الكلام . والاشارات الالهية للحكيم المشهور ابي حيَّان التوحيدي

في مخاطبة النفس بابلغ عبارة (الموجود منهُ الجزء الاول) . وشعب الايمان لعبد الحليل الاندلسي في التصوف والاخلاق . والرسالة الجامعة وهي جمع من جمع رسائل اخوان الصفا لمؤلفيها علماء الباطنية تقرأ عندهم بعد الرسائل المعروفة . والاول من سرّ الصناعة لابن جني في اسرار العربية . والصحائف اليونانية في مخاطبة النفس الانسانية . والضوء اللامع للسخاوي في تراجم اهل القرن التاسع خمس مجلدات كبيرة جدًّا . والثاني من مناقب الخلفاء الاربع لابي بكر ابن الطيب الباقلاني . وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الاندلسي والثالث من الجليس والانيس لابي الفرج المعافي بن زكريا . وكتاب الاحكام السلطانية للقاضي ابي يعلى . وتفضيل السلف على الخلف لابراهيم بن هبة الله . ورسالة الجاحظ في التنكيت والتبكيت لبعض من خالفهُ من علماء عصره . وكتاب معاني الشعر للاشناندراني في حلّ بعض الاشعار التي تحتاج الى روية زائدة . وديوان خالد الكاتب . والطب الروحاني لابن الجوزي في علم الاخلاق . والاطراق فيما يتعلق بالمحدثين سبع مجلدات للحافظ جمال الدين المزّي . وكتاب الاحوال لابي عبيد بن سلام الازدي . وتاريخ ابن عساكر تام في عشرين مجلدًا . واجزاء من كتاب الامّ للامام الشافعي خامسها هو الخامس عشر منها . والجزء الخامس من الفتاوى المصرية لشيخ الاسلام بن تيمية وهي في علوم شتى

هذا وفي المكتبة الآن ٢٦٠٠ مجلد مخطوط ويبلغ مجموع المخطوط والمطبوع اربعة آلاف مجلد منها بعض كتب في الفنون والادب أُحضرت حديثًا وهي من مطبوعات اوربا . والانتفاع حاصل بها لان للبلاد حاجة ماسة الى امثال هذه الدور التي قد لا تخلو منها بُلَيْدة في المغرب مهما صغرت وسورية كلها على كبر رقعتها وكثرة مدنها ليس فيها سوى هذه الخزانة

محمد كردعلي

[المقتطف] ولما حُرِق الجامع الاموي حديثًا شاع انهُ وجد في خزانة كتبهِ نسخ قديمة من التوراة والانجيل وان امبراطور المانيا بعث باحد العلماء العارفين باللغة العربية واللغات القديمة الى دمشق للبحث عن هذه النسخ . فكتبنا الى اصدقائنا في بيروت ودمشق ليبحثوا عن ذلك فلم يجدوا للاشاعة صحّة وانما وجدوا انهُ كان في خزانة الكتب نسخة قديمة من القرآن مكتوبة على رق الغزال مثل النسخة التي وجدت في جامع عمرو بمصر القديمة وهي الآن في المكتبة الخديوية . ويحتمل انهُ كان في تلك الخزانة كتب أُخرى ثمينة واحترقت معها حرق